

# الدولة الإسلامية – داعش

الخميس 23 / 4 / 2015 م

## القسم الأول: أوراق سرية: هكذا كان ضابط المخابرات العراقية يحرك سراً خيوط" الدولة الإسلامية"

بقلم: كريستوف رويتر – مجلة " دير شبيغل

ضابط عراقي هو الذي وضع الخطط لاستيلاء تنظيم "الدولة الإسلامية" على أجزاء من سورية، وقد تمكنت مجلة "دير شبيغل" الألمانية من الحصول على وصول حصري إلى أوراقه. وتصور هذه الأوراق منظمة قامت أولاً على الحسابات الدنيوية الباردة البحتة، ولو أنها تبدو في الظاهر مدفوعة بالتعصب الديني.

منعزل، مهذب، وديع، مجامل جداً، منضبط، مخادع، غامض.. ماكر. عندما يتذكر الثوار من شمال سورية لقاءاتهم معه بعد أشهر لاحقة، فإنهم يتحدثون عن جوانب مختلفة تماماً من الرجل، لكنهم يتفقون جميعاً على شيء واحد فقط: إننا لم نعرف أبداً من هو الشخص الذي كنا نجلس مقابله بالضبط. "في واقع الأمر، لم يكن حتى أولئك الذين أطلقوا النار عليه وقتلوه بعد تبادل وجيز لإطلاق النار في بلدة تل رفعت في أحد صباحات كانون الثاني من العام 2014، يعرفون الهوية الحقيقية للرجل طويل القامة في أواخر الخمسينيات من العمر. لم يدرك هؤلاء الرجال أنهم قتلوا الرأس الاستراتيجي والعقل المدبر للجماعة التي تطلق على نفسها اسم "الدولة الإسلامية"، وكانت حقيقة إمكانية حدوث ذلك من الأساس نتيجة لسوء تقدير نادر، ولكنه مميت، من جهة ذلك المخطط العبقري، وقد وضع الثوار المحليون الجثة في ثلاجة، وأرادوا دفنه فيها، ولم يدركوا سوى في وقت لاحق فقط مدى أهمية الرجل الذي قتلوه، وقاموا بإخراج الجثة من الثلاجة مرة أخرى. كان سمير عبد محمد الخليفوي هو الاسم الحقيقي للعراقي الذين خفتت من حدة ملامحه وعظامه النائثة لحية بيضاء، لكن أحداً لم يكن يعرفه بهذا الاسم، وحتى اسمه المستعار المعروف به أكثر، الحجي بكر، لم يكن معروفاً على نطاق واسع أيضاً، لكن هذا الواقع بالضبط كان جزءاً من الخطة.

كان العقيد السابق في جهاز مخابرات قوة الدفاع الجوي لصدام حسين هو الذي يحرك الخيوط سراً في تنظيم "الدولة الإسلامية" على مدى سنوات. وقد ذكره أعضاء سابقون في الجماعة مراراً وتكراراً على أنه واحد من أبرز شخصيات التنظيم، ومع ذلك، لم يكن الدور الذي يضطلع به بالضبط واضحاً أبداً.

لكن مهندس عمارة" الدولة الإسلامية "ترك وراءه شيئاً كان ينوي الإبقاء عليه سرياً بصراحة: مخطط هذه الدولة، وهو ملف كامل مليء بالرسوم التنظيمية بخط اليد، والقوائم والجداول الزمنية، التي تصف كيفية التي يمكن بها إخضاع بلد بشكل تدريجي.

وقد حصلت مجلة "شبيغل" على وصول خاص وحصري إلى الصفحات الإحدى والثلاثين، وبعضها تتألف من عدة صفحات ملصقة معاً.

وتكشف هذه الوثائق عن تركيبة متعددة الطبقات، وتحتوي على توجيهات للعمل، بعضها جرى اختبارها مسبقاً على أرض الواقع، وأخرى تم وضعها حديثاً من أجل التعامل مع الوضع الفوضوي في الأراضي التي يسيطر عليها الثوار في سورية.

وبأحد المعاني، تشكل هذه الوثائق النظام الأساسي والمصدر لإدارة الجيش الإرهابي الأكثر نجاحاً في التاريخ الحديث.

حتى الآن، ظل الكثير من المعلومات حول "الدولة الإسلامية" يأتي من المقاتلين الذين انشقوا عنها، ومن مجموعات بيانات الإدارة الداخلية للدولة الإسلامية التي تمكنت الحكومة من مصادرتها في بغداد.

لكن أياً من ذلك لم يقدم تفسيراً لصعود التنظيم النيزكي على الساحة، قبل أن تضع الغارات الجوية في أواخر صيف العام 2014 حداً لمسيرته المظفرة.

لأول مرة، جعلت وثائق الحجي بكر من الممكن الآن التوصل إلى استنتاجات بشأن كيفية تنظيم قيادة "الدولة الإسلامية"، وماهية الدور الذي لعبه المسؤولون في حكومة الدكتاتور السابق صدام حسين في ذلك.

وقبل كل شيء، تظهر هذه الوثائق كيف تم التخطيط للاستيلاء على شمال سورية، ما جعل من تقدم المجموعة في وقت لاحق إلى العراق ممكناً في المقام الأول، وبالإضافة إلى ذلك، تكشف أشهر طويلة من البحوث التي أجرتها "شبيغل" في سورية، وكذلك السجلات الأخرى المكتشفة حديثاً، والحصريّة لمجلة "شبيغل"، كيف تم تنفيذ التعليمات التي وضعها حجي بكر بدقة.

كانت وثائق بكر مخبأة منذ فترة طويلة في ملحق صغير لأحد المنازل في شمال سورية المحاط بالخراب، قبل أن يعلن عن وجودها أول مرة أحد شهود العيان الذين رأوها في منزل الحجي بكر بعد فترة وجيزة من وفاته. وفي نيسان 2014، تم تهريب صفحة واحدة من الملف إلى تركيا، حيث تمكنت "شبيغل" من فحصها لأول مرة، وأصبح من الممكن الوصول إلى ثل رفعت لتقييم المجموعة الكاملة من الأوراق المكتوبة بخط اليد فقط في تشرين الثاني 2014.

يقول الرجل الذي كان يخزن ملاحظات حجي بكر، بعد سحبها من تحت كومة طويلة من الصناديق والبطانيات، والذي طلب عدم الكشف عن هويته خوفاً من انتقام فرق الموت التابعة لتنظيم "الدولة الإسلامية": "كان همنا الأكبر هو احتمال أن تقع هذه الخطط في الأيدي الخطأ، وأن لا يُعرف عنها بعد ذلك أبداً."

## الخطة الرئيسية

تبدأ قصة هذه المجموعة من الوثائق في وقت كان فيه القليلون قد سمعوا بعد باسم "الدولة الإسلامية". وعندما سافر العراقي حجي بكر إلى سورية كجزء من قوة طليعة متقدمة صغيرة في أواخر العام 2012، كانت لديه خطة بدت غريبة في ذلك الحين: يجب أن يستولي "الدولة الإسلامية" على أكبر قدر ممكن من الأراضي في سورية، ثم، باستخدام سورية كراس جسر، يقوم بغزو العراق.

اتخذ بكر لنفسه مكاناً للإقامة في منزل غير مميز في بلدة تل رفعت، إلى الشمال من مدينة حلب السورية، وكانت تلك البلدة خياراً جيداً.

في الثمانينيات، كان الكثيرون من سكانها قد ذهبوا للعمل في دول الخليج، وخاصة في المملكة العربية السعودية، وعندما عادوا، جلب البعض معهم قناعات وصلات متطرفة، وفي العام 2013، سوف تصبح تل رفعت معقل "الدولة الإسلامية" في محافظة حلب، مع المئات من مقاتلي التنظيم المتمركزين هناك.

هناك كان المكان، حيث رسم "سيد الظلال"، كما دعاه البعض، هيكل "الدولة الإسلامية"، وصولاً إلى المستوى المحلي. هناك وضع القوائم والتدابير المتعلقة بعملية الاختراق التدريجي للقرى، وحدد الأشخاص الذين سيشفرون عليها، وباستخدام قلم حبر جاف، رسم التسلسل القيادي للأجهزة الأمنية على الورق.

وعلى الرغم من إمكانية افتراض أن يكون ذلك من قبيل المصادفة البحتة، كانت القرطاسية التي استخدمها من مخصصات وزارة الدفاع السورية، وتحمل ترويسة القسم المسؤول عن شؤون الإسكان والأثاث.

ما وضعه بكر على الورق، صفحة بعد صفحة، مع مربعات موضوعة بعناية للمسؤوليات الفردية، لم يكن أقل من مخطط استيلاء، لم يكن بياناً إيمانياً دينياً، وإنما خطة دقيقة من الناحية الفنية لـ "دولة المخابرات الإسلامية" -لخلافة تديرها المنظمة، تشبه وكالة الاستخبارات الداخلية سيئة السمعة، "ستاسي"، في ألمانيا الشرقية.

بعد ذلك، تم تنفيذ هذا المخطط بدقة مذهلة في الأشهر التالية، وقد بدأت الخطة دائماً بنفس التفاصيل: قامت المجموعة بتجنيد الأتباع تحت ذريعة افتتاح مكتب للدعوة، وهو مركز دعوة إسلامي.

ومن بين أولئك الذين جاؤوا للاستماع إلى المحاضرات، ولحضور الدورات عن الحياة الإسلامية، تم اختيار واحد أو اثنين من الرجال، وصدرت إليهم تعليمات بالتجسس على قريتهم والحصول على مجموعة واسعة من المعلومات، وتحقيقاً لهذه الغاية، وضع حجي قوائم المعلومات المطلوبة من قبيل ما يلي:

- قائمة للأسر القوية والنافذة.
- أسماء الأفراد الأقوياء في هذه العائلات.
- معرفة مصادر دخلهم.
- جمع أسماء وتحديد أحجام ألوية وكتائب (المتمردين) في القرية.
- معرفة أسماء قادتهم، من الذي يسيطر على الألوية وما هي ميولهم السياسية.
- معرفة أنشطتهم غير المشروعة (وفقاً لأحكام الشريعة)، والتي يمكن أن يجري استخدامها لابتزازهم إذا لزم الأمر.

قيل للجواسيس أن يلاحظوا كل التفاصيل، مثل إذا ما كان شخص ما مجرمًا أو مثلي الجنس، أو كان متورطاً في علاقة سرية، لكي يكون ذلك بمثابة ذخيرة للابتزاز في وقت لاحق.

وكتب بكر في ملاحظاته: "سوف نعيّن الأذكي من بينهم كشيوخ للشريعة. سوف ندرهم لفترة من الوقت، ثم نقوم بإرسالهم"، وفي الحاشية، أضاف أنه سيتم اختيار العديد من "الإخوة" في كل بلدة للزواج من بنات الأسر الأكثر نفوذاً، من أجل "ضمان التغلغل في هذه العائلات من دون علمها".

كان على الجواسيس أن يعرفوا أكبر قدر تمكن معرفته من المعلومات عن البلدات المستهدفة: من يعيش هناك، من هو المسؤول، أي الأسر هي المتدينة، أي مدرسة فقهية إسلامية هي التي تنتمي إليها هذه الأسر، كم هو عدد المساجد هناك، من هو الإمام، كم عدد زوجاته وأولاده وما هي أعمارهم.

وتضمنت التفاصيل الأخرى معرفة كيف هي خطب الإمام، وإذا ما كان أكثر انفتاحاً على الصوفية، أو على النسخة الباطنية من الإسلام؛ هل يقف مع المعارضة أم مع النظام؛ وما هو موقفه من الجهاد.

كما أراد بكر إجابات عن أسئلة مثل: هل يقبض الإمام راتباً؟ وإذا كان الأمر كذلك، من هو الذي يدفع الراتب؟ من الذي عينه؟ وأخيراً: كم هو عدد الناس في القرية الذين يؤيدون الديمقراطية؟

كان من المفترض أن يعمل العملاء بطريقة تشبه مؤشر الموجات الزلزالية، حيث تم إرسالهم لكي يتعقبوا أصغر الشقوق، والعيوب وخطوط الصدع القديمة داخل الطبقات العميقة للمجتمع - وباختصار، أي معلومات يمكن استخدامها لتقسيم وإخضاع السكان المحليين.

وتضمن هؤلاء المخبرون جواسيس من رجال المخابرات السابقين، لكنهم ضمو أيضاً معارضي النظام الذين كانوا قد اختلفوا مع واحدة من الجماعات الثورية.

وكان بعضهم أيضاً من الشباب والمراهقين الذين هم في حاجة إلى المال، أو الذين وجدوا هذا النوع من العمل مثيراً، وكان معظم الرجال على قائمة بكر للمخبرين، مثل أولئك من تل رفعت، في أوائل العشرينيات من العمر، لكن بعضهم لم تتجاوز أعمارهم 16 أو 17 عاماً.

تضم الخطط التي وضعها بكر أيضاً مجالات مثل التمويل، والمدارس، والرعاية النهارية، ووسائل الإعلام والنقل، لكن هناك ثيمات أساسية ظلت تتكرر فيها باستمرار، والتي عولجت بدقة في الخرائط وقوائم المسؤوليات التنظيمية ومتطلبات الإبلاغ عن المعلومات: المراقبة، والتجسس، والقتل والخطف.

لكل مجلس إقليمي خطط بكر لوجود أمير أو قائد، ليكون مسؤولاً عن واحدة من مهام القتل، والاختطاف، والقنص، والاتصالات والتشفير، كما خطط لوجود أمير يتولى الإشراف على الأمراء الآخرين - في حال لم يؤدي أعمالهم بشكل جيد"، وسوف تكون نواة هذه الدولة الإلهية هيكلًا من التروس المكونة من الخلايا الشيطانية وقوات الكوماندوز المصممة لنشر الذعر.

منذ البداية الأولى، كانت الخطة أن تعمل أجهزة المخابرات بشكل متوازٍ، حتى على مستوى المحافظات، سوف تقدم دائرة مخابرات عامة تقاريرها إلى "أمير الأمن" في المنطقة، الذي يكون مسؤولاً عن أمراء يكونون نواباً له في المناطق المفردة، ويقدم رئيس خلايا التجسس السرية و"مدير جهاز المخابرات والمعلومات" في الإقليم المعني تقاريرهما إلى نواب الأمير هؤلاء، وتقدم خلايا التجسس على المستوى المحلي تقاريرها إلى نائب أمير المقاطعة، وكان الهدف من ذلك أن يُبقي الجميع عيونهم مفتوحة على الجميع.

وكان القائمون على تدريب "قضاة الشريعة على جمع المعلومات الاستخباراتية" يقدمون تقاريرهم أيضاً إلى أمير المنطقة، في حين تم تخصيص إدارة مستقلة من "ضباط الأمن" للأمير المنطقة.

الشريعة، والمحاكم، والتقوى الموصوفة - كل هذه المفاهيم كانت تخدم هدفاً واحداً: المراقبة والتحكم. وحتى الكلمة التي استخدمها بكر لوصف عملية تحويل المسلمين الحقيقيين، "تكوين"، ليست دينية، وإنما هي مصطلح فني تمكن ترجمته إلى "بناء"، وهي كلمة ركيكة يمكن أن تستخدم في الجيولوجيا أو الإنشاءات. ومع ذلك، قبل 1.200 سنة، اتخذت هذه الكلمة مساراً فريداً من نوعه للحظة وجيزة مرتبطة بالسمعة السيئة. لقد استخدمها الكيميائيون الشيعة لوصف عملية خلق حياة اصطناعية. وفي القرن التاسع، في "كتاب الأحجار"، كتب العالم الفارسي جابر بن حيان - مستخدماً نصاً ورموزاً سرية - عن خلق أنيسيان (إنسان صغير): "إن الهدف من ذلك هو خداع الجميع، باستثناء أولئك الذين يحبون الله". وربما كان ذلك أيضاً هو هوى واضعي استراتيجية "الدولة الإسلامية"، على الرغم من أن المجموعة تنظر إلى الشيعة كمرتدين تخلوا عن الإسلام الحقيقي. ولكن، بالنسبة للحجى بكر، لم تكن فكرة الله والإيمان الذي عمره أكثر من 1.400 عام سوى واحدة فقط من العديد من الوحدات الموجودة تحت تصرفه ليرتبها كيفما يشاء، من أجل تحقيق هدف أسمى.

### البدايات في العراق

بدا الأمر كما لو أن جورج أورويل كان النموذج لهذا النسق من المراقبة الصارمة المحكومة بجنون الشك والارتياب. لكن الأمر كان أبسط من ذلك بكثير في واقع الأمر. كان بكر يجري مجرد تعديل فقط على ما تعلمه في الماضي: أجهزة صدام الأمنية كلية الحضور والمنتشرة في كل مكان، والتي لم يستطع أحد، ولا حتى الجنرالات في جهاز المخابرات، أن يكون على يقين من أنه لا يتعرض للتجسس عليه. وصف الكاتب العراقي المغترب كنعان مكية "جمهورية الخوف" هذه في كتاب بأنها بلد يمكن فيه لأي شخص أن يختفي ببساطة، والذي استطاع فيه صدام تكريس تنصيبه رسمياً في العام 1979 من خلال عرض لمؤامرة وهمية.

هناك سبب بسيط لعدم وجود أي ذكر في كتابات بكر للنبوءات المتعلقة بإنشاء دولة إسلامية يُزعم بأنها جاءت بأمر من الله: كان يعتقد أن المعتقدات الدينية المتعصبة وحدها ليست كافية لتحقيق النصر، لكنه اعتقد فعلاً بأنه يمكن استغلال إيمان الآخرين لهذه الغاية.

في العام 2010، جعل بكر ومجموعة صغيرة من ضباط المخابرات العراقيين السابقين من أبو بكر البغدادي، الأمير، ولاحقاً "ال خليفة"، الزعيم الرسمي لـ "الدولة الإسلامية"، وقام منطقتهم على أن البغدادي، وهو رجل الدين المتعلم، سوف يعطي للمجموعة وجهاً دينياً.

يقول الصحافي العراقي هشام الهاشمي إن بكر كان "قومياً، وليس إسلامياً"، بينما يتذكر الحياة المهنية للضابط السابق، الذي كان متمركزاً مع ابن عم للهاشمي في قاعدة الحبانية الجوية". العقيد سمير"، كما يدعوه الهاشمي: "كان رجلاً لوجستياً ذكياً حازماً وممتازاً للغاية"، لكنه عندما عمد بول بريمر، الذي كان حينذاك رئيساً

لسلطة الاحتلال الأميركية في بغداد، إلى " حل الجيش بموجب مرسوم في أيار 2003 ، كان مستاء وعاطلاً عن العمل".

في تلك الفترة، تم تجريد الآلاف من الضباط السنة المدربين تدريباً جيداً من مصدر رزقهم بجرة قلم، وبفعلها ذلك، خلقت أميركا لنفسها أكثر أعدائها استياءً وذكاء.

ذهب بكر إلى العمل السري، والتقى بأبي مصعب الزرقاوي في محافظة الأنبار في غرب العراق، وكان الزرقاوي، أردني المولد، قد أدار سابقاً معسكراً لتدريب الإرهابيين الدوليين في أفغانستان، وبدءاً من العام 2003، اكتسب شهرة وسمعة سيئة عالمية باعتباره العقل المدبر لهجمات شنت ضد الأمم المتحدة، والقوات الأميركية والشيعية.

وكان الزرقاوي أكثر تطرفاً، حتى من زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن نفسه، ثم قتل الزرقاوي في غارة جوية أميركية في العام 2006 .

على الرغم من أن حزب البعث المهيمن في العراق كان علمانياً، فقد تقاسم النظامان في نهاية المطاف القناعة بأن السيطرة على الجماهير يجب أن تكون في أيدي نخبة صغيرة لا ينبغي أن تكون مسؤولة أمام أي طرف - لأنها تحكم باسم خطة كبرى، تكتسب شرعيتها إما من الله، أو من مجد التاريخ العربي. ويكمن سر النجاح في الجمع بين الأضداد: المعتقدات المتعصبة لدى مجموعة، والحسابات الاستراتيجية لدى المجموعة الأخرى.

أصبح بكر بالتدريج واحداً من القادة العسكريين في العراق، وتعرض للاعتقال في السنوات 2008 - 2006 في سجن معسكر الجيش الأميركي، بوكا، وسجن أبو غريب. وتمكن من النجاة واجتياز موجات من الاعتقالات والقتل التي نفذتها الوحدات الخاصة الأميركية والعراقية، والتي هددت وجود المنظمة السلف لمجموعة" الدولة الإسلامية "نفسها في العام 2010 : تنظيم الدولة الإسلامية في العراق.

بالنسبة لبكر ولعدد من كبار الضباط السابقين، قدم ذلك الوضع فرصة للاستيلاء على السلطة، وسط دائرة أصغر بكثير من الجهاديين.

وقد استغلوا الوقت الذي تقاسموه في معسكر بوكا لإنشاء شبكة واسعة من الصلات، لكن كبار القادة كانوا يعرفون بعضهم مسبقاً منذ فترة طويلة، كان حجي بكر وضابطاً آخر جزءاً من شعبة استخبارات صغيرة مرتبطة بالوحدة العراقية المضادة للطائرات، وجاء اثنان آخران من قادة" الدولة الإسلامية "من مجتمع صغير من التركمان السنة في بلدة تلعفر، وكان أحدهما ضابط مخابرات رفيع المستوى كذلك.

في العام 2010 ، بدت محاولة هزيمة قوات الحكومة العراقية عسكرياً فكرة عبثية وخيالية، لكن منظمة سرية قوية بدأت تتكون وتتخذ شكلاً من خلال ممارسة أعمال الإرهاب والابتزاز مقابل الحماية.

وعندما اندلعت الانتفاضة ضد ديكتاتورية عائلة الأسد في سورية المجاورة، تحسس قادة التنظيم وجود فرصة هناك، وبحلول أواخر العام 2012، كانت القوات الحكومية السورية التي لم تكن تقهر في السابق قد هُزمت وطُردت إلى حد كبير، وخاصة في الشمال.

وبدلاً منها، حلت هناك الآن مئات من المجالس المحلية وألوية الثوار، كجزء من مزيج فوضوي لا يمكن أن يتعقبه ويعرف مسالكه أحد، كانت تلك حالة من الضعف والهشاشة، والتي سعت المجموعة المنظمة بشكل محكم من الضباط السابقين إلى استغلالها.

تختلف محاولات تفسير نشوء تنظيم "الدولة الإسلامية" وصعوده السريع إلى السلطة حسب الطرف الذي يقدم التفسير.

وينظر خبراء الإرهاب إلى "الدولة الإسلامية" على أنه امتداد لتنظيم القاعدة، ويعززون عدم قيامه بهجمات كبيرة ومشهدية حتى الآن إلى ما يرونه نقصاً في القدرة التنظيمية، ويرى علماء الجريمة "الدولة الإسلامية" على أنه شركة قابضة تشبه المافيا، والتي تعمل لهدف تعظيم الربح.

ويشير علماء الإنسانيات إلى البيانات المروعة التي تصدرها وزارة إعلام "الدولة الإسلامية"، وتمجيده للموت، والاعتقاد بأن "الدولة الإسلامية" منخرطة في تنفيذ مهمة مقدسة.

لكن الرؤى الرهيبة القائمة على فكرة نهاية العالم ليست كافية وحدها لأسر المدن والاستيلاء على البلدان. إن الإرهابيين لا يؤسسون البلدان.

وليس من المرجح أن يتمكن كارتيل إجرامي من توليد الحماس لدى المؤيدين في مختلف أنحاء العالم، ليكونوا مستعدين للتخلي عن حياتهم والسفر إلى مناطق "الخلافة"، وربما إلى حتفهم.

لدى "الدولة الإسلامية" القليل من القواسم المشتركة مع أسلافه، مثل تنظيم القاعدة، فيما عدا تسميته الجهادية. ليس هناك بشكل أساسي أي شيء ديني في أعماله، في تخطيطه الاستراتيجي، أو في التغيير الخالي من الضمير لتحالفاته، وفي رواياته الدعائية المنفذة بدقة.

إن الإيمان، حتى في أكثر أشكاله تطرفاً، هو مجرد واحدة من العديد من الوسائل الموظفة لتحقيق غاية. كان شعار "الدولة الإسلامية" الوحيد الثابت والمستمر هو توسيع السلطة ومناطق النفوذ، وبأي ثمن.

عن "دير شبيغل

## القسم الثاني : أوراق سرية : حجي بكر وضع خطة قيام" الدولة الإسلامية" ..

بقلم :كريستوف رويتر

### تنفيذ الخطة

بدأ توسع" الدولة الإسلامية "بطريقة مبهمة تماماً، حتى أن السوريين اضطروا، بعد عام من ذلك، إلى التوقف والتفكير للحظة في الوقت الذي ظهر فيه الجهاديون وسطهم .كانت مكاتب الدعوة التي تم فتحها في العديد من المدن في شمال سورية في ربيع العام 2013 مكاتب دعوية بريئة المظهر، لا تختلف عن تلك التي فتحتها الجمعيات الخيرية الإسلامية في جميع أنحاء العالم.

عندما فتح مكتب الدعوة في الرقة،" كان كل ما يقولونه هو أنهم ' إخوة'، ولم يقولوا ولو كلمة واحدة عن الدولة الإسلامية"، كما يقول طبيب فر من المدينة.

وتم فتح مكتب للدعوة أيضاً في منبج، المدينة الليبرالية في محافظة حلب، في ربيع العام . 2013 ويتذكر ناشط شاب في الحقوق المدنية من هناك" :حتى أنني لم ألاحظ ذلك في البداية .كان مسموحاً لأي شخص أن يفتح ما يشاء .لم تكن نشته في أن أي أحد آخر غير النظام يمكن أن يهددنا .فقط عندما اندلع القتال في كانون الثاني، أدرکنا أن" داعش "كان قد استأجر مسبقاً العديد من الشقق، حيث تمكن من تخزين الأسلحة وإخفاء رجاله."

كان الوضع مماثلاً في بلدات الباب، وأتاريب وعزاز .وقد فتحت مكاتب الدعوة أيضاً في محافظة إدلب المجاورة في أوائل العام 2013 ، في بلدات سرمداء، وعممة، وكفر تخاريم، والدانة ولسقين .وبمجرد أن حدد التنظيم ما يكفي من "الطلاب" الذين يمكن تجنيدهم كجواسيس، وسع" الدولة الإسلامية "وجوده .في الدانة، تم استئجار مبان إضافية، ورُفعت الأعلام السوداء غلقت الشوارع .وفي المدن التي واجه فيها الكثير من المقاومة، أو لم يتمكن فيها التنظيم من تأمين ما يكفي من المؤيدين، اختار أن ينسحب مؤقتاً . في البداية، كانت طريقة عمله هي التوسع من دون المخاطرة بمواجهة مقاومة مفتوحة، واللجوء إلى خطف أو قتل" الأفراد العدائين"، في حين ينكر التنظيم في الوقت ذاته أي تورط له في هذه الأنشطة الشائنة.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن المقاتلون أنفسهم واضحين أيضاً في البداية .لم يبق بكر وحرس الطليعة المتقدم بجلب المقاتلين مباشرة من العراق، وهو الأمر الذي يبدو منطقياً .بل إنهم حظروا صراحة على مقاتليهم العراقيين الذهاب إلى سورية في واقع الأمر .كما اختاروا أيضاً عدم تجنيد عدد كبير جداً من السوريين .

وبدلاً من ذلك، ذهب قادة" الدولة الإسلامية "إلى خيار أكثر تعقيداً :قرروا أن يجمعوا معاً كل المتطرفين الأجانب الذين كانوا يأتون إلى المنطقة منذ صيف العام2012 . كان الطلاب القادمون من المملكة العربية السعودية، وموظفو المكاتب القادمون من تونس، والمتسربون من المدارس من أوروبا من دون أي تجربة عسكرية سابقة، سيشكلون جيشاً مع المقاتلين الذين عرکتهم المعارك واختبروا القتال من الشيشان والأوزبك . وسوف يتم وضع هذا الجيش في سورية تحت قيادة عراقية.



مسبقاً، وبحلول نهاية العام 2012 ، كانت معسكرات الجيش قد أقيمت في عدة أماكن .في البداية، لم يكن أحد يعرف ما هي الجماعات التي ينتمي إليها هؤلاء المقاتلون .تم تنظيم المعسكرات بدقة وصرامة، وجاء الرجال الذين تواجدوا هناك من دول عديدة- ولم يتحدثوا إلى الصحفيين .كان عدد قليل جداً منهم من العراق .وتلقى القادمون الجدد شهرين من التدريب، وتم ترويضهم على الطاعة من دون قيد أو شرط للقيادة المركزية .كانت عملية الإعداد غامضة بدورها، وكانت هناك ميزة أخرى أيضاً :على الرغم من أن عملية الإعداد كانت فوضوية بالضرورة في البداية، فإن ما نجم منها كان قوات موالية تماماً .لم يكن الأجانب يعرفون أحداً خارج إطار رفاقهم، ولم يكن لديهم أي سبب لإظهار الرحمة تجاه الآخرين، وكان بالإمكان نشرهم بسرعة إلى العديد من الأماكن المختلفة .كان هذا الترتيب متناقضاً بشكل صارخ مع الثوار السوريين، الذين ركزوا في معظم على مهمة الدفاع عن بلداتهم، وترتب عليهم رعاية أسرهم والمساعدة في جني المحاصيل . وفي خريف العام 2013 ، سجلت ملفات " الدول الإسلامية 2.650 "من المقاتلين الأجانب في محافظة حلب وحدها .وقد شكل التونسيون ثلث هذا المجموع، يليهم السعوديين والأتراك والمصريون، وبأعداد أقل الشيشان والأوروبيون والإندونيسيون .

في وقت لاحق أيضاً، كانت أعداد الثوار السوريين تفوق إلى حد يائس صفوف الجهاديين عديداً . وعلى الرغم من أن الثوار لم يكونوا يتقون بالجهاديين، فإنهم لم يوحّدوا قواهم لتحدي "الدولة الإسلامية"، لأنهم لم يكونوا يريدون المخاطرة بفتح جبهة ثانية .ومع ذلك، استطاع تنظيم "الدولة الإسلامية" تعظيم هائلته باستخدام خدعة بسيطة :ظهر الرجال دائماً وهم يرتدون أقمعة سوداء، والتي لم تكن تجعلهم يبدون مرعبين فقط، وإنما عنّت أيضاً أن لا يستطيع أحد أن يعرف كم منهم يوجد هناك فعلاً .عندما تظهر مجموعات من 200 مقاتل في خمسة أماكن مختلفة، مكاناً تلو الآخر، هل عنى ذلك أن لدى "الدولة الإسلامية 1.000 "شخص؟ أو 500 ؟ أو أكثر قليلاً من 200 ؟ وبالإضافة إلى ذلك، ضمن الجواسيس أيضاً أن تعرف القيادة باستمرار أين يكون السكان ضعيفين أو منقسمين أو أين يوجد صراع محلي، على نحو يسمح لتنظيم "الدولة الإسلامية" بتقديم نفسه كقوة حامية من أجل الحصول لنفسه على موطن قدم .

### الاستيلاء على الرقة

كان على الرقة، التي كانت ذات مرة مدينة إقليمية هادئة على نهر الفرات، أن تصبح النموذج الأولي لغزو "الدولة الإسلامية" الكامل .وقد بدأت العملية فيها بشكل رقيق، لتصبح أكثر وحشية بالتدرج .وفي النهاية، ساد تنظيم "الدولة الإسلامية" على خصوم أكبر منه من دون خوض الكثير من القتال .وشرح طبيب كان قد فر من الرقة إلى تركيا :لم تكن أناساً مسيسين كثيراً على الإطلاق .كما أننا لم نكن متدينين ولم نكن نصلي كثيراً".

عندما سقطت الرقة في أيدي الثوار في آذار 2013 ، تم انتخاب مجلس للمدينة بسرعة .المحامون والأطباء والصحافيون نظموا أنفسهم .وتأسست جماعات نسائية .وتأسست جمعية الشباب الحر، وكذلك حركة" من أجل حقوقنا" والعشرات من المبادرات الأخرى .في ذلك الوقت، بدا أي شيء ممكناً في الرقة . لكن ذلك أشر أيضاً، من وجهة نظر بعض الذين فروا من المدينة، على بداية سقوطها .

في مطابقة لخطة حجي بكر، أعقبت مرحلة التسلل والاختراق مرحلة القضاء على كل شخص قد يكون زعيماً أو خصماً محتملاً .كان أول شخص قاموا بضربه هو رئيس مجلس المدينة، الذي اختطفه ملثمون في

منتصف أيار . 2013 وكان الشخص التالي الذي اختفى هو شقيق لكاتب روائي بارز .وبعد ذلك بيومين، اختفى الرجل الذي قاد المجموعة التي رسمت العلم الثوري على جدران المدينة.

وشرح أحد أصدقائه: "كانت لدينا فكرة عن الذين خطفوه .لكن أحداً لم يعد يجروء على عمل شيء .".لقد شرع نظام الرعب في توطيد أركانه .وبدءاً من تموز اختفى العشرات أولاً، ثم المئات من الناس .في بعض الأحيان، كان يُعثر على جثثهم، لكنهم عادة ما كانوا يختفون دون أن يبقى لهم أي أثر .وفي آب أرسلت قيادة" الدولة الإسلامية "العسكرية عدة سيارات يقودها انتحاريون إلى مقر لواء الجيش السوري الحر، وجماعة" أحفاد الرسول"، ما أسفر عن مقتل العشرات من المقاتلين وأجبر البقية على الفرار .ووقف الثوار الآخرون ينظرون فحسب .ونسجت قيادة" الدولة الإسلامية "شبكة من الصفقات السرية مع الأولوية بحيث اعتقد كل منها أن الآخرين فقط هم الذين ربما يكونون أهدافاً لهجمات" الدولة الإسلامية".

يوم 17 تشرين الأول 2013 ، دعا" الدولة الإسلامية "كل قادة المجتمع المدني ورجال الدين والمحامين في المدينة لحضور اجتماع .في ذلك الوقت، اعتقد البعض أن ذلك قد يكون إيماة للمصالحة .ومن بين ال 300 شخص الذين حضروا الاجتماع، تحدث اثنان فقط ضد الاستيلاء المستمر، وعمليات الخطف والقتل التي يرتكبها" الدولة الإسلامية".

أحد هؤلاء الشخصين كان مهند حبايينا، الناشط في الحقوق المدنية والصحافي المعروف في المدينة .وقد عثر عليه بعد خمسة أيام مقيداً ومقتولاً بطلق ناري في رأسه .وتلقى أصدقاؤه بريداً إلكترونياً مجهول المصدر مع صورة لجثته .وتضمنت الرسالة جملة واحدة فقط: "هل أنت حزين على صديقك الآن؟" وخلال ساعات، فر نحو 20 شخصاً من قيادات المعارضة إلى تركيا .لقد وصلت الثورة في الرقة إلى نهايتها .

وبعد وقت قصير، قدم 14 من رؤساء أكبر العشائر البيعة والولاء للأمير أبو بكر البغدادي .حتى أن هناك فيلماً يصور ذلك الحفل .وكان هؤلاء هم شيوخ نفس العشائر التي كانت قد أقسمت يمين الولاء الثابت الذي لا يتزعزع للرئيس السوري بشار الأسد قبل عامين من ذلك وحسب .

## قتل حجي بكر

حتى نهاية العام 2013 ، كان كل شيء يسير وفقاً لخطة" الدولة الإسلامية- "أو على الأقل وفقاً لخطة حجي بكر .كانت الخلافة تتوسع من قرية إلى قرية من دون أن تواجه مقاومة موحدة من الثوار السوريين .وفي الواقع بدا الثوار مشلولين في مواجهة قوة" الدولة الإسلامية".

لكن شيئاً غير متوقع حدث عندما قام أتباع" الدولة الإسلامية "بتعذيب قائد محبوب من قادة الثوار وطبيب وإعدامهما في كانون الأول من العام . 2013 في جميع أنحاء البلاد، انضمت الأولوية السورية معاً- من الفصائل العلمانية وأجزاء من جبهة النصرة المتطرفة على حد سواء -لمقاتلة مجموعة" الدولة الإسلامية".

وعن طريق مهاجمة" الدولة الإسلامية "في كل مكان وفي نفس الوقت، تمكنوا من تجريد الإسلاميين من ميزتهم التكتيكية- القدرة على التحريك السريع للوحدات المقاتلة إلى حيث تكون هناك حاجة ماسة إليها .

في غضون أسابيع، تم طرد" الدولة الإسلامية "من مناطق واسعة من شمال سورية .وحتى الرقة، عاصمة" الدولة الإسلامية"، كانت على وشك السقوط تقريباً في الوقت الذي وصل فيه 1.300 مقاتل للنجدة من العراق .

لكنهم لم يسيروا إلى المعركة ببساطة. بدلاً من ذلك، استخدموا طريقة أكثر مكرراً وتعقيداً، كما يتذكر الطبيب الذي فر من هناك". في الرقة، كان هناك الكثير جداً من الألوية التي تتحرك في المكان، ولم يكن أحد يعرف بالضبط من يكون الآخرون. وفجأة، بدأت مجموعة ترتدي ملابس الثوار بإطلاق النار على الثوار الآخرين. وعندئذٍ، فروا جميعاً، بكل بساطة".

لقد ساعدت حفلة تنكرية بسيطة مقاتلي "الدولة الإسلامية" على تحقيق النصر: ما عليك سوى أن تقوم فقط بتغيير الملابس السوداء إلى بناطيل الجينز والسترات العادية. وقد فعلوا الشيء نفسه في بلدة جرابلس السورية الحدودية.

وفي العديد من المناسبات، كان الثوار في مواقع أخرى يأسرون السائقين من مركبات "الدولة الإسلامية" الانتحارية. وكان أولئك السائقون يسألون باستغراب: "أنتم من السنة أيضاً؟ قالي لي أميرنا إنكم كفار من جيش الأسد."

بمجرد اكتمالها، تبدو الصورة الكلية غرائبية تماماً: ثمة أشخاص يزعمون لأنفسهم مهمة تنفيذ إرادة الله على الأرض، يخرجون ليستخلصوا بالقهر إمبراطورية دنيوية مستقبلية، وإنما بماذا؟ بملابس النينجا، والحيل الرخيصة وخلايا التجسس المموهة في شكل مكاتب دعوية. لكن هذه الأساليب أثمرت.

فقد تمكن "الدولة الإسلامية" من التمسك بالرقة، واستطاع استعادة بعض أراضيها المفقودة. لكن ذلك جاء متأخراً جداً بالنسبة للمخطط الكبير، الحجي بكر.

بقي الحجي بكر متخلفاً هناك في بلدة تل رفعت الصغيرة، حيث يحتفظ بتنظيم "الدولة الإسلامية" باليد العليا منذ وقت طويل. لكن المدينة أصبحت مقسومة في غضون ساعات فقط عندما هاجمها الثوار في نهاية كانون الثاني 2014.

بقي نصفها تحت سيطرة "الدولة الإسلامية"، بينما استطاعت إحدى كتائب الثوار المحلية انتزاع السيطرة على النصف الآخر. وعُلق الحجي بكر في النصف الخاطئ. وبالإضافة إلى ذلك، وحتى يبقى متخفياً، أحجم عن الانتقال إلى واحد من مقرات "الدولة الإسلامية" العسكرية مشددة الحراسة. وهكذا، وشى أحد الجيران بعرباب الوشاية نفسه. هتف الرجل: "هناك شيخ من داعش يسكن هنا". "واتجه قائد محلي يدعى عبد الملك حدبة مع رجاله بمركباتهم إلى منزل بكر. وقالت امرأة فتحت بفضاطة: "زوجي ليس هنا".

لكن سيارته واقفة في الخارج أمام المنزل، رد الثوار.

في تلك اللحظة، ظهر الحجي بكر على الباب في منامته. وأمره حدبة بأن يخرج ويذهب معهم، فاحتج بكر بأنه يريد أن يرتدي ملابسه. كلا، كرر حدبة: "تعال معنا على الفور!"

برشاقة مثيرة للدهشة بالنسبة لعمره، قفز بكر عائداً إلى داخل المنزل وركل الباب خلفه وأغلقه، وفقاً لرواية الشخصين اللذين شهدا الحادثة. ثم اختبأ تحت الدرج وصرخ: "لدي حزام ناسف! سوف أفرنا جميعاً". لكنه سرعان ما خرج وفي يده بندقية كلاشينكوف وبدأ بإطلاق النار. وعندئذٍ أطلق حدبة النار من سلاحه وقتل بكر.

عندما عرف الرجال فيما بعد من هو الشخص الذي قتلوه، قاموا بتفتيش المنزل، وجمعوا أجهزة الحاسوب، وجوازات السفر، وبطاقات تعريف الهواتف الخليوية SIM cards ، وجهاز للملاحة GPS ، والأهم من ذلك كله :الأوراق .ولم يعثروا على قرآن في أي مكان.

مات حجي بكر وأخذ الثوار المحليون زوجته إلى المعتقل .وفيما بعد، بادلها الثوار برهائن أترك لدى" الدولة الإسلامية "بناء على طلب من أنقرة .وتم إخفاء أوراق بكر القيّمة في بداية الأمر وحفظها في غرفة، حيث ظلت هناك لعدة أشهر .

### مخبأ آخر للمستندات

استمرت دولة الحجي بكر في العمل، حتى من دون وجود مؤسسها .وقد تأكد مدى الدقة التي تم بها تطبيق خطته- نقطة بنقطة -لدى اكتشاف ملف آخر. عندما تم إجبار" الدولة الإسلامية "باطراد على مغادرة مقراته في حلب في كانون الثاني 2014 ، حاول مقاتلوه إحراق أرشيفهم، لكنهم واجهوا مشكلة تشبه تلك التي واجهتها أجهزة السلطة السرية الألمانية قبل 25 عاماً :كان لديهم الكثير من الملفات.

بعض هذه الملفات ظل سليماً لم يُمس، وانتهى به المطاف إلى أيدي" لواء التوحيد"، أكبر الجماعات الثورية في حلب في ذلك الوقت .وبعد مفاوضات مطولة، وافقت المجموعة على إطلاق" شببغل "على هذه الأوراق ومنحها حقوق النشر الحصرية- كل شيء ما عدا قائمة تضم أسماء جواسيس" الدولة الإسلامية" في داخل لواء التوحيد.

يكشف فحص هذه المئات من صفحات الوثائق عن نظام معقد للغاية، والذي يتضمن آليات الاختراق والمراقبة لكافة المجموعات الأخرى، بما فيها جماعة" الدولة الإسلامية "أنفسهم .وقد احتفظ مسؤولو أرشيف الجهاديين بقائمة طويلة تبين المخبرين الذين قاموا بزرعهم، وفي أي من كتائب الثوار والمليشيات التابعة للحكومة .بل وذكرت فيها أيضاً أسماء الأشخاص من بين الثوار الذين كانوا جواسيس لجهاز مخابرات الأسد . يقول الشخص المكلف بحراسة الوثائق " :كانوا يعرفون أكثر مما نعرف، أكثر بكثير .".وكانت الملفات الشخصية للمقاتلين من بين هذه الوثائق، بما فيها رسائل طلب الانتساب المفصلة من المقاتلين القادمين .وعلى سبيل المثال، هناك مقاتل أردني أرسل قائمة طويلة تضم كل مراجعه من الإرهابيين، بما فيها أرقام هواتفهم، ورقم ملف قضية جنائية ضده .كما كانت هوياته مذكورة في الرسالة أيضاً :الصيد، الملاكمة، وصناعة القنابل . أراد" الدولة الإسلامية "أن يعرف كل شيء، لكن التنظيم أراد في الوقت نفسه خداع الجميع فيما يتعلق بأهدافه الحقيقية .وعلى سبيل المثال، هناك تقرير من عدة صفحات، يذكر بعناية كل الذرائع التي يمكن أن يستخدمها" الدولة الإسلامية "لتبرير استيلائه على أكبر مطحنة للدقيق في شمال سورية .ويتضمن التقرير أعداراً مثل وجود اختلاسات مزعومة، وكذلك السلوك الفاجر للعاملين في المطحنة .أما الحقيقة- أنه يجب الاستيلاء على كافة المرافق المهمة استراتيجياً، مثل المخازن الصناعية، وصوامع الحبوب، ومحطات التوليد، وإرسال معداتها إلى عاصمة الخلافة غير الرسمية في الرقة -فيجب الإبقاء عليها طي الكتمان.

مرة تلو المرة، كشفت الوثائق عن تلازم وتطابق مع خطط حجي بكر لتأسيس" الدولة الإسلامية"- "على سبيل المثال، ضرورة تشجيع زواج أعضاء التنظيم من بنات العائلات النافذة .كما ضمت الوثائق من حلب أيضاً

قائمة بأسماء 34 مقاتلاً أرادوا الزواج، بالإضافة إلى حاجيات منزلية أخرى. وعلى سبيل المثال، أش ار أبو لقمان وأبو يحيى التونسي، إلى أنهما في حاجة إلى شقق. وطلب أبو صهيب وأبو أحمد أسامة أثاثاً لغرف النوم. وطلب أبو البراء الدمشقي مساعدة مالية بالإضافة إلى مجموعة كاملة من الأثاث، في حين أراد أبو عزمي غسالة أوتوماتيكية بالكامل.

### تحالفات متغيرة

ولكن، وفي الأشهر الأولى من العام 2014، شرع عنصر آخر من إرث الحجي في لعب دور حاسم: فترة من الاتصالات التي أجراها مع أجهزة استخبارات الأسد.

في العام 2003، أصيب نظام دمشق بالذعر من احتمال أن يعمد الرئيس الأميركي، جورج دبليو بوش، بعد انتصاره على صدام حسين، إلى جعل قواته تواصل تقدمها إلى داخل سورية لإسقاط الأسد أيضاً. وهكذا، في السنوات التي تلت ذلك، تولى ضباط المخابرات السوريون تنظيم عملية نقل الآلاف من المقاتلين المتطرفين من ليبيا، والمملكة العربية السعودية وتونس، إلى مجموعة "القاعدة" في العراق. وقد دخل 90 في المائة من المهاجمين الانتحاريين العراق عبر الطريق السوري. وتطورت علاقة غريبة بين الجنرالات السوريين، والجهاديين الدوليين، والضباط العراقيين السابقين الذين كانوا موالين لصدام- في مشروع مشترك لألد الأعداء، والذين التقوا بشكل متكرر إلى الغرب من دمشق.

في ذلك الحين، كان الهدف الأساسي هو جعل حياة الأميركيين في العراق جحيماً لا يطاق. وبعد 10 سنوات من ذلك، أصبح لدى بشار الأسد حافز جديد لبث حياة جديدة في أوصال ذلك التحالف: أراد أن يسوق نفسه للعالم على أنه الأقل شراً بين العديد من الشرور. كان الإرهاب الإسلامي، وكلما كان أكثر بشاعة كان ذلك أفضل، ضرورياً جداً بحيث لا يجب أن يُترك أمره للإرهابيين. وقد تميزت علاقة النظام بتنظيم "الدولة الإسلامية" -تماماً كما كان الحال مع سلفه قبل عقد سابق- ببراغماتية تكتيكية كاملة. وفي هذه العلاقة، يحاول كل من الطرفين استخدام الآخر على افتراض أنه سوف يكون القوة الأقوى في نهاية المطاف، والقادرة على إلحاق الهزيمة بمتعاون الأمس. وبذلك، لم تكن لدى قادة "الدولة الإسلامية" مشكلة في تلقي المساعدة من سلاح جو الأسد، على الرغم من كافة تعهدات المجموعة بإبادة الشيعة المرتدين. وابتداءً من كانون الثاني 2014، ستقوم الطائرات المقاتلة السورية بانتظام- وبشكل حصري- بقصف مواقع الثوار ومقارهم خلال المعارك بين "الدولة الإسلامية" ومجموعات الثوار الأخرى.

في المعارك بين "الدولة الإسلامية" والثوار خلال شهر كانون الثاني 2014، قامت طائرات الأسد بانتظام بقصف مواقع الثوار، بينما أصدر أمير "الدولة الإسلامية" أوامره إلى مقاتليه بالامتناع عن إطلاق النار على الجيش. وكان ذلك ترتيباً أصاب العديد من المقاتلين الأجانب بخيبة أمل عميقة وجردهم من الأوهام؛ كانوا قد تصوروا الجهاد بشكل مختلف.

قام "الدولة الإسلامية" بإلقاء كامل ترسانته من الأسلحة على الثوار، حيث أرسل المزيد من المفجرين الانتحاريين إلى صفوفهم خلال بضعة أسابيع فقط أكثر مما كان قد أرسله خلال كامل السنة السابقة ضد

الجيش السوري. وبفضل ما يعود في جزء منه إلى الضربات الجوية، تمكن "داعش" من استعادة الأراضي التي كان قد فقدتها لفترة وجيزة.

لا شيء يمكن أن يرمز إلى التحول التكتيكي في التحالفات أكثر من مصير وحدة الجيش السوري رقم 17. كانت القاعدة المعزولة بجوار الرقة تحت حصار الثوار لأكثر من عام كامل. لكن "الدولة الإسلامية" استطاعت بعدئذ إحقاق الهزيمة بالثوار هناك، وتمكنت قاعدة الأسد الجوية هناك مرة أخرى من تشغيل رحلات الإمداد الجوية دون خوف من احتمال التعرض للهجوم.

ولكن، بعد نصف سنة، بعد احتلال "الدولة الإسلامية" مدينة الموصل والسيطرة على مستودع هائل للأسلحة هناك، شعر الجهاديون بأنهم أقوياء بما يكفي لمهاجمة معاوينهم السابقين. وقام مقاتلو "الدولة الإسلامية" باجتياح الكتيبة 17 وذبح الجنود، الذين كانوا يحمونهم مؤخراً فقط.

### ما الذي يخبئه المستقبل؟

النكسات التي تعرض لها "الدولة الإسلامية" في الأشهر الأخيرة - الهزيمة في القتال على الجيب الكردي في مدينة كوباني، وبعد ذلك، خسارة مدينة تكريت العراقية - ولدت الانطباع بأن نهاية "الدولة الإسلامية" أصبحت وشيكة. بدا كما لو أن التنظيم، في خضم جنون عظمته، والمبالغة في تمديد نفسه، وفقدان سحره وهالته، أصبح في حالة تراجع وسوف يختفي في القريب. لكن مثل هذا التفاؤل القسري سيكون سابقاً لأوانه على الأرجح. ربما يكون "الدولة الإسلامية" قد فقد العديد من مقاتليه، لكنه استمر في التوسع في سورية.

صحيح أن تجارب الجهاديين في حكم منطقة جغرافية محددة فشلت في السابق. لكن ذلك كان في معظمه، على الأغلب، بسبب افتقارهم إلى المعرفة المتعلقة بكيفية إدارة منطقة، أو حتى دولة. لكن تلك بالضبط هي نقطة الضعف التي كان استراتيجيو "الدولة الإسلامية" وواعين لها منذ وقت طويل - والتي تمكنوا من التخلص منها. في داخل "الخلافة"، تمكن أولئك الذين في السلطة من إقامة نظام هو أكثر استقراراً وأكثر مرونة مما يبدو من الخارج.

ربما يكون أبو بكر البغدادي هو الزعيم المسمى رسمياً، لكنه يبقى من غير الواضح ما هو مدى السلطة التي يتمتع بها. وعلى أي حال، عندما اتصل مبعوث من زعيم القاعدة، أيمن الظواهري، بتنظيم "الدولة الإسلامية"، فقد كان الحجي بكر وضباط استخبارات آخرون، وليس البغدادي، هم الذين تقرب منهم. وبعد ذلك، قال المبعوث شاكياً: "هؤلاء الثعابين الزائفون الذين يخونون الجهاد الحقيقي". في داخل "الدولة الإسلامية"، هناك هياكل دولة، وبيروقراطية وسلطات.

لكن هناك أيضاً هيكل قيادة مواز: وحدات نخبة تعمل بجوار القوات العادية؛ قادة إضافيون إلى جانب القائد العسكري الاسمي عمر الشيشاني؛ وسطاء قوة يقومون بنقل أو تخفيض أدوار أمراء الأقاليم والمدن، أو حتى جعلهم يختفون من الوجود تماماً. وبالإضافة إلى ذلك، لا تتخذ القرارات - كقاعدة - من جانب مجالس الشورى، التي تشكل اسماً أعلى هيئة لاتخاذ القرار. بدلاً من ذلك، يقوم باتخاذ هذه القرارات "أهل الحل والعقد"، وهم دائرة سرية أخذت اسمها من إسلام العصور الوسطى.

يستطيع" الدولة الإسلامية "أن يتعرف إلى كافة أنواع الثورات الداخلية وخنقها .وفي الوقت نفسه، يفيد نظام المراقبة المحكم أيضاً في استغلال الدولة المالي لرعاياها.

ربما تكون الضربات الجوية التي ينفذها التحالف بقيادة الولايات المتحدة قد تمكنت من تدمير آبار ومصافي النفط .لكن أحداً لا يستطيع أن يمنع السلطات المالية للخلافة من انتزاع النقود من الملايين من الناس الذين يعيشون في المناطق الواقعة تحت حكم" الدولة الإسلامية- "في شكل ضرائب ورسوم جديدة، أو بمصادرة الأملاك ببساطة .ويعرف تنظيم "الدولة الإسلامية" بعد كل شيء، كل شيء من جواسيسه ومن البيانات التي نهبها من البنوك، وملفات السجل العقاري ومكاتب صرف العملات .إنه يعرف من هو الذي يملك أي بيوت وأي حقول؛ وهو يعرف من الذي يمتلك الكثير من الأغنام ولديه الكثير من المال .وربما لا يكون الرعايا راضين عن ذلك، لكن هناك أقل حد من المتسع أمامهم لتنظيم أنفسهم، ثم التسلح والثورة.

بينما يتركز اهتمام الغرب بشكل كبير على احتمال وقوع هجمات إرهابية في المقام الأول، تم التقليل من قدر السيناريو الآخر :الحرب الإسلامية الداخلية الوشيكة بين السنة والشيعة .وسوف يسمح مثل هذا الصراع لتنظيم "الدولة الإسلامية "بالتخرج والتحول من كونه منظمة إرهابية مكروهة إلى قوة مركزية.

اليوم، تتعقب خطوط الجبهة الأمامية في سورية والعراق واليمن فعلياً هذا الخط الطائفي، حيث يقاتل الأفغان الشيعة ضد الأفغان السنة في سورية، وحيث يستفيد "الدولة الإسلامية "في العراق من الهمجية التي تمارسها الميليشيات الشيعية الوحشية .وفي حال استمر هذا الصراع الإسلامي القديم في التصاعد، فإنه يمكن أن يفيض ويمتد إلى الدول المختلطة طائفيًا، مثل المملكة العربية السعودية، والكويت، والبحرين ولبنان .

في مثل هذه الحالة، يمكن لدعاية" الدولة الإسلامية "حول يوم القيامة ونهاية العالم الوشيكة أن تصبح واقعاً . وفي خضم هذا التدفق، سيصبح من الممكن إقامة دكتاتورية استبدادية مطلقة.

عن " دير شبيغل"